# الإخلاص في القول والعمل

## ٨ من جمادى الأولى ١٤٣٦هـ ــــ ٢٧ من فبراير ٢٠١٥م

**أولا** : **العناصر** :

١- الإخلاص جوهر العبادات.
٢- دعوة الإسلام إلى الإخلاص .
٣- التحذير من الرياء وخطره.
٤- ثمرات الإخلاص.

**ثانيًا** : **الأدلـة** :

**الأدلة من القرآن الكريم** :

١- قال تعالى:{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].
٢- وقال تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا }[مريم:٥١].
٣- وقال تعالى :{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}[الزمر: ٢، ٣].
٤- وقال تعالى: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي} [الزمر:١١- ١٤].
٥- وقال تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥].
٦- وقال تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود: ١٥، ١٦].
٧- وقال تعالى:{وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً} [الفرقان:٢٣].
٨- وقال تعالى:{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[يوسف: ٢٤].
٩- وقالَ تعالَى:{قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الوَقْتِ المَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ}[ص: ٧٩-٨٣].

**الأدلـة من السـنة** :

١- عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ » (سنن النسائي).
٢- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) قَالَ: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » (رواه مسلم).
٣- وعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» (رواه البخاري).
٤- وعن ابن عباس (رضي الله عنهما)عن النبي (ﷺ ) قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عز وجل عِنْده

عشر حَسَنَات إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هم بسيئة فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عنده حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كتبهَا الله سَيِّئَة وَاحِدَة)(رواه مسلم).

٥- وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ».وفي رواية : « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ ». وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ(مسلم).

٦- و عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ. فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ » (رواه مسلم).

٧- وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ(رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ): "مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَعِبَادَتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، مَاتَ وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ" (رواه ابن ماجه).

٨- وعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً ، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهْوَ فِي سَبِيلِ اللهِ » (رواه البخاري).

٩- وعَنْ سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : « إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ » (سنن النسائي).

**ثالثًا : الموضـــــوع** :

لقد بين القرآن الكريم في آيات كثيرة أن الله سبحانه وتعالى قد أوجدنا في هذه الحياة الدنيا لعبادته وطاعته ، ومن هذه الآيات قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ}[الذاريات:٥٦، ٥٨].

على أن عبادة الله تشمل إلى جانب إقامة شعائره عمارة الكون وكل ما يحقق مصالح البلاد والعباد .

والعبادات في الإسلام من صلاة وصيام ، وزكاة وحج، وغير ذلك مما أمر الله تعالى به لها أصول لا تتم إلا بها ومن تلك الأصول : أن تكون هذه العبادات جوهرها وظاهرها وباطنها الإخلاص لله رب العالمين ، فهوَ روحُ الطاعاتِ ، وجوهرُ العباداتِ ، لاَ تُقْبَلُ الطاعةُ بدونِهِ ، لأن الله سبحانه وتعالى جعله شرطا لقبول الأعمال الصالحة، ليس في العبادات فقط ، بل في جميع الأعمال والأقوال ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَالَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « لَا شَيْءَ لَهُ » فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): «لَا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ » (سنن النسائي).

والإخلاص معناه : الابتعاد عن الرياء والسمعة ، وحب النفس والشهرة ، بمعنى : أن يقصد الإنسان بقوله وعمله ، بحركاته وسكناته وجه الله تعالى وابتغاء مرضاته ، من غير نظر إلى مغنم أو جاه أو مظهر أو شهرة ، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة أو مدح من الخلق، وهذا ما أمر الله به رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فقال:{ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ }[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

فالمخلص هو الذي يقوم بأعمال الطاعة من صلاة وصيام وحج وزكاة وصدقة وقراءة للقرآن وقضاء حوائج الناس والوطن ابتغاء وجه الله عز وجل ، وليس من أجل أن يمدحه الناس ويذكروه ، فعمله ظاهرًا وباطنًا لوجه الله وحده، لا يريد من الناس جزاءً ولا شكورًا.

ومن عظيم شأن الإخلاص أن الله تعالى مدح به أنبياءه ورسله في القرآن الكريم ، لأنهم أخلصوا أقوالهم وأفعالهم لله عز وجل ، فقال سبحانه وتعالى:{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا }[مريم:٥١]. ويقول تعالى عن يوسف- عليه السلام- : {إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[يوسف: ٢٤]. أي إنه من عبادنا الذين أخلصوا العبادة والطاعة لله عز وجل.

وقَدْ شَهِدَ اللهُ سبحانَهُ بالإخلاصِ لمنِ صَفَتْ سرائِرُهُمْ، وصدَقَتْ نِيَّاتُهُمْ، وسَلِمَتْ أعمالُهُمْ، قالَ تعالَى: {وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ }[ص: ٤٥-٤٧]. أَيْ أخلَصُوا العبادةَ للهِ عزَّ وجلَّ.

وقد أمر الله تعالى عباده بالإخلاص وحثهم عليه في كل أقوالهم ، وجميع أعمالهم ، وأول من وجه إليه هذا الأمر هو رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ليكون قدوة طيبة وأسوة حسنة ، فقال سبحانه :{إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ}[الزمر: ٢، ٣] ، وفي آية أخرى يخاطب الله رسوله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بقوله:{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي}[الزمر:١١، ١٤].

كما أمر الله سبحانه وتعالى عباده بأن يتحلوا بالإخلاص ، فقال سبحانه وتعالى :{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة:٥] ، وقال تعالى : {فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }[غافر: ١٤].

ولقد حث النبي (ﷺ) أتباعه على الإخلاص في أعمالهم وأقوالهم وعباداتهم لله سبحانه وتعالى وحده ، وحذرهم من الرياء تحذيراً بالغاً، وشنع على من لم يخلص أعماله وأقواله لله-عز وجل- ، فعن عُمَرَ بْن الْخَطَّابِ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ : ( إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ) (رواه البخاري) وفي رواية : «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»، لقد صدَّر الإمام البخاري كتابه الصحيح بهذا الحديث إشارة منه إلى أن كل عمل لا يراد به وجه الله عز وجل فهو باطل ، لا ثمرة له في الدنيا ولا في الآخرة ، وكذلك نوَّه الإمام الشافعي (رحمه الله) بجلال هذا الحديث واشتماله على كثير من المعاني والمقاصد برغم وجازته ، فقال : " هذا الحديث ثلث العلم".

فليعلم المسلم أنه لابد لكل عمل من نية، ولابد للنية من الإخلاص لله رب العالمين ، فليراجع الإنسان نيته أولاً بأول حتى لا تتحول عباداته إلى عادات ويفقد إخلاصه فيها ، فالعمل وإن كان موافقاً للشرع فإنه لا يكفي حتى يكون مقبولاً، بل لا بد وأن يصاحبه الإخلاص لله رب العالمين، قال الفُضَيْلُ بنُ عِياضٍ في قوله – تعالى - : {لِيَبْلوكمْ أيُّكم أحسنُ عملاً}[سورة الملك:٢] : العمل الحسن هو أخلصه وأصوبه ، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً ، والخالص: أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة ، ثم قرأ قوله تعالى: {فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً}[الكهف: ١١٠].( مدارج السالكين لابن القيم).

ومما يؤكد أن العبد المسلم يجازى بنيته ، ما جاء في صحيح مسلم من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما)عن النبي (ﷺ ) قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عز وجل عِنْده عشر حَسَنَات إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ ، وَإِنْ هم بسيئة فلم يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عنده حَسَنَةً كَامِلَةً ، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كتبهَا الله سَيِّئَة وَاحِدَة).

ومن هذا يتضح أن الله تعالى لا ينظر إلى كثرة الأعمال أو قلتها بقدر ما ينظر إلى قيمة الإخلاص فيها ، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ». وفي رواية: « إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ ». وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ.

فالعاقل الفطن هو الذي يخلص النية لله تبارك وتعالى لأنّ الناس لا ينفعونه بشيء إذا راءى لهم بل هو الخاسر يوم القيامة.

وإذا كان الإخلاص في أسمى درجات الكمال ، فإن الرياء في أحط دركات النقصان ، لأن الله تعالى توعد المرائين بسوء المصير ، فقال سبحانه : {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (١) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (٢) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣) فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ }[سورة الماعون].

فإذا اختل شرط الإخلاص، وقُصِد بالعمل غير الله تعالى أصبح رياءً ، لا ثواب له ، وهذا ما يوضحه حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ»(رواه ابن ماجه).

وقد حذرنا ربنا سبحانه وتعالى من الرياء ؛ لأنه شرك خفي ، فيعمل العبد عملاً في ظاهره الصلاح ، وفي الحقيقة لا يريد به إلا مرضاة الناس ومدحهم، فهو سبحانه غنيّ حميد، لا يرضى أن يشرك العبد معه غيرَه، فإن أبى العبد إلا ذلك ردّ الله عليه عملَه ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ) قَالَ: « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنْ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ » (رواه مسلم). وفي رواية أخرى : «... فَمَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ» (رواه ابن ماجه).

فإذا حُرِم الإنسان نعمة الإخلاص وراءى الناس بعمله ولم يقصد به وجه الله عز وجل فسد عمله ، وساء مصيره ، بل كان أول الهالكين يوم القيامة ؛ لذلك حذَّر النبي (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من الرياء تحذيراً شديداً ، فقال فيما أخرجه مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ : رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا ، قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ : كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ جَرِىءٌ. فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ. وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِىَ فِى النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِىَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا قَالَ مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِىَ فِى النَّارِ ».

ومن هذا يتضح أن الرياء يمحق الأعمال الصالحة، ويبطلها ، ليس هذا فحسب بل يؤدي إلى التهلكة وسوء المصير ، يقول سبحانه: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ في الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [هود : ١٥]. يقول بعض الحكماء: "مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة، كمثل رجل خرج إلى السوق، وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل، ولا منفعة له من عمله سوى مقالة الناس عنه ، ولا ثواب له في الآخرة" (تنبيه الغافلين).

إن الإخلاص في الأقوال والأعمال وكل ألوان العبادة إذا ما استقر في القلب ، وظهر في السلوك أثمر الخير الكثير والأجر العظيم ، وجعل الله تعالى لصاحبه من كل همٍّ فرجًا ، ومن كل ضيقٍ مخرجًا ، ومن هذه الثمرات:

* رضا الله تبارك وتعالى عن المخلصين: فإن من لازم الإخلاص لله تعالى في أقواله وأعماله وعبادته عاش في الدنيا سعيدًا وفارقها والله – تعالى- عنه راضٍ ، فرسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يبين لنا أن رضا الله تعالى لا يكون إلا بالمداومة على الإخلاص له في العبادة والطاعة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ): "مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَعِبَادَتِهِ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، مَاتَ وَاللَّهُ عَنْهُ رَاضٍ" (رواه ابن ماجه).

* قبول الأعمال عند الله عز وجل : فإن الإنسان مرتهن بعمله عند ربه عز وجل ، إما أن يقبله وإما أن يردَّه ، والعمل المردود سبب من أسباب هلاك صاحبه؛ لأنه قصد به رضا الناس لينال مدحهم وثناءهم عليه ، فكان كما قال ربنا سبحانه : {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا }[الفرقان: ٢٣]. فكل ماعملوا في الدنيا من عمل صالح أصبح هباء منثورًا ، لا قيمة له ولا وزن له ؛ لأنه لم يقم على الإخلاص لله رب العالمين ، ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً (أي : من أجل العصبية والدفاع عن عشيرته ولو بالباطل)، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً (أي : يقاتل من أجل أن يقال عنه : إنه شجاع)، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً (أي يقاتل من أجل رضا الناس وثنائهم عليه وليس من أجل الله تعالى)، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهْوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» (رواه البخاري).

فمن لم يكن عمله خالصاً لوجه الله – تعالى- لا يقبله الله ، ففي حديث أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : (تعرض أعمال بني آدم بينَ يَدي اللهِ عزَّ وجلَّ يومَ القيامةِ فِي صُحُفٍ مُخَتَّمَةٍ، فيقول الله : أَلْقُوا هَذَا واقبلوا هذا ، فتقول الملائكة : يا ربِّ والله ما رأيْنا مِنه إِلَّا خَيْرًا، فيقول الله : إنَّ عَمَلَهُ كَانَ لِغَيْرِ وَجْهِي ، ولا أقبل اليوم من العمل إلا ما أريد بِهِ وَجْهِي) (مسند البزار). وقال العراقي: رواه الدارقطني من حديث أنس بإسناد حسن.

* رعاية الله تعالى وحفظه للمخلصين : فإذا ما أخلص الإنسان لله تعالى في أقواله وأعماله وعبادته فإنه سبحانه وتعالى يحفظه ويرعاه ، ويصرف عنه كل سوء ومكروه ، يؤكد هذا ما جاء في قصة يوسف (عليه السلام) حيث يقول ربنا سبحانه :{وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[يوسف: ٢٤]. فيوسف (عليه السلام) قد نجاه الله سبحانه وتعالى من البلاء الذي وقع به بسبب الإخلاص.

وكلمة (المخلصين) في القرآن تقرأ بقراءتين : الأولى (المخلَصين) بفتح اللام ، أي : الذين أخلصناهم وطهرناهم لعبادتنا وطاعتنا. الثانية: (المخلِصين) بكسر اللام ، أي : الذين أخلصوا العبادة والطاعة والدين لله رب العالمين.

* النصر على الأعداء : فإذا ما أخلص الناس في طاعتهم وعبادتهم ، وأقوالهم وأعمالهم، فإن الله تبارك وتعالى ينصرهم على عدوهم مهما كانت قوته ، ومهما كان ضعفهم ، فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ (رضي الله عنه) عَنْ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : « إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ » (سنن النسائي).

فالإخلاص أساس العبادة ، فبه تكون الأقوال والأعمال مقبولة ، وبه تكون العبادة والطاعة كذلك ، وبالإخلاص يكون التصديق بسنة الرسول (ﷺ) ومن ثم العمل بها، وبالإخلاص يكون التعليم ، والتعلم، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والإنفاق في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله ، والبذل، والعطاء، والتضحية ، وصلة الرحم ،

وبالإخلاص يكون التحاب في الله والقيام بحقوق المسلم ، والحفاظ عليها ، وبالإخلاص تكون مراعاة حق الجار ، ونصحه ومعاونته ، والأخذ على يديه إذا فرَّط، والسؤال عنه ، وغض البصر عن محارمه ، وبالإخلاص تكون الرحمة والشفقة على المساكين ، ومواساة الأيتام والأرامل ، حتى إنك إذا أفرغت من دلوك في دلو أخيك أجرت على ذلك، بل الأعظم من ذلك أن تبسمك في وجه أخيك صدقة إذا ابتغيت بها وجه الله تعالى.

نسأل الله أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم